جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم علم اللغة
والدراسات السامية
والشرقية

التركيب الشرطي في القرآن الكريم والتوراة

دراســـة مقـارنـة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الباحث
ناصــر أحمد جـابر الشمــري
المعيد بكلية الآداب- جامعة الكويت

إشـراف
أ.د. محمد صالح توفيق
أستاذ اللغة العبرية وآدابها- كلية دار العلوم

1427هـ/ 2006م

O

شكر وتقدير

لو كنت أعلم فوق الشكر منزلة أعلى من الشكر عند الله في الثمن
إذن منحتكها مني مهـذّبة حذوًا على حذو ما أوليت من حسن

شكراً إلى من وجهني في طريق البحث وأنار لي السبيل ، شكراً إلى من بَصّرَني بالخطأ ، وأعانني على الوصول إلى الصواب، شكراً إلى من أسدى إليّ النصائح الغالية، والتوجيهات السديدة، شكراً إلى من أخلص في الإرشاد وأوفى حق الإشراف شكراً لمن تشرفتُ بالتتلمذ على يديه:

الأستاذ الدكتور/ محمد صالح توفيق

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمجيد الطويل
الأستاذ الدكتور / صلاح الدين صالح حسنين

لتشريفهم لي بمناقشة هذه الرسالة، وتوجيه صاحبها، جزاهم الله عني خير الجزاء.

إهـــــــداء

إلي من ربياني صغيرًا..

أبواي الكريمين

أهدي هذا العمل..

وفاءً وعرفانًا

إضاءة في طريق البحث :

نحن نتعلم العبرية من أجل العربية

أ. د. محمد صالح
توفيق

المقـــــــــدمة

المقــدمة :

الحمدُلله الذي رفعَ العربيةَ بالقُرآن، وله الحمدُ إذ أَنْزَلَ الفرقان، وله الحمدُ دون شرطٍ أو برهان، حمداً يليقُ بجلالةِ السلطان، وكما يَنْبَغِي لمكانَةِ المَنَّان، وصلّى عَلَى سيدِ وَلَدِ عدنان، سيدَنا ونبيَّنا وشفيعَنا يومَ الحسبان، وسلِّمْ عَليْه عَدَدَ ما حَجَّ البيْتَ إنسان، ونَزَلَ من السماءِ هتّان.

لقد كتبتُ هذه المقدمة وأنا في غاية الامتنان لأستاذي ومشرفي ومعلمي، شيخي الأستاذ الدكتور/ محمد صالح توفيق؛ على ما بذله نحوي من نصحٍ صادق وتوجيهٍ واع، وذلك لأني شرعتُ بكتابة المقدمة بعد تعديل الملاحظات والتصويبات التي رآها أستاذي الفاضل على الرسالة والتي حينما رأيتها حزنتُ لكثرتها، وذاك لأني ظننتُ بأني استوفيت كل متطلباتها وأوفيتُ كل مباحثها قبل ذلك، ولكن ما أن بدأتُ بقراءة الملاحظات والتصويبات حتى زال الحزن وزاد الامتنان فكان لسان حالي يقول: لا أعرف ماذا أفعل دونك يا أستاذي؟

وذلك لأنّه قرأها قراءة الفاحص المدقق لا قراءة القارئ العابر، بل لا أبالغ إن قلتُ لقد قرأها أكثر من مرة؛ وهذا تطوع منه يشكر عليه، وحرصاً على طلابه يُحمد له، فجزاه الله عني خير الجزاء، فقد وجهني خير توجيه، وأرشد أفضل إرشاد، وزودني بما ينفعني من كتب وأبحاث، لذا أقول لقد أدى الأمانة.

ومن أجل ذلك أقول: إنْ كان ثمة شيء يُحمد في هذا العمل فالفضل لله أولاً ثم لأستاذي الفاضل لما بذله من جهد جهيد، وأما التقصير فهو مني والله على ذلك شهيد.

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

وجود وجوه شبه بين العربية والعبرية أمر مقر من قديم " فكثير من الباحثين الأوربيين قد لاحظوا منذ قرون أوجه الشبه بين العربية والعبرية، وكان العارفون بها وبالسريانية في عصر الحضارة الإسلامية قد أدركوا أن هذه اللغات متقاربة، بل وعرف ابن حزم أنها من أصل عربي واحد"[1].

(1) علم اللغة العربية– مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، د. محمود فهمي

ولقوة الشبه بين اللغات، وعن طريقه، قد تُعاد صياغة اللغة الأم التي ترجع لها كل اللغات، وذلك من خلال دراسة وجوه الشبه بين اللغات، ومن الواضح أن المنهج المقارن يساهم بشكل أساسي في تكوين ملامح أولية لهذه اللغة الأم التي تتشعب منها كل اللغات، ذلك بالنسبة للغات البشرية بشكل عام.

أما ما يخصّ الأسرات اللغوية في هذا الجانب فستكون النتائج أكثر وأوضح؛ ولنا في أسرة اللغات السامية في هذا البحث نموذج لذلك، وتأتي هذه الدراسة لتكون مادة مساعدة على إثبات الأصل الواحد أو إيضاح ملامح اللغة الأم.

وكذلك تسهم هذه الدراسة في توضيح تاريخ اللغة العربية من خلال النظر في غيرها من اللغات، يقول الدكتور محمد صالح توفيق: " اتفق علماء اللغات السامية على أن المنهج المقارن أتى بثمار يانعة ونتائج باهرة في زمن يسير، ساعدت على تأريخ اللغة العربية وبيان أن ما وجدناه مدونا من نصوص الشعر الجاهلي لا يمثل بدايات اللغة العربية، وإنما هو مرحلة مكتملة النمو سبقتها مراحل طفولة وتعثر "[1].

ويؤكد الدكتور إبراهيم السامرائي هذا الاتجاه حيث يقول: " ولفهم العربية الفهم الصحيح وحل كثير من غامضها ينبغي أن يستفيد هذا الحل من المقارنات بغيرها من اللغات التي تكون مع العربية مجموعة أو أسرة لها صفاتها المعينة التي تميزها عن غيرها من المجاميع اللغوية "[2].

ويستطرد الدكتور السامرائي بقوله: " ومن أجل هذا فالعلم بالساميات وسيلة مفيدة لفهم العربية، ولا يمكن فهم الصفات التي تميز العربية عن غيرها من اللغات إلا بالرجوع إلي تلك اللغات التي تتصل بالعربية اتصال النسب فالعربية مثلاً كغيرها من اللغات السمية تتصف بما يأتي:

1- أنها تعتمد على الحروف الصامتة لأداء المعنى، وهي تستخدم الحركات للتفرقة بين

حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م، ص122.

(1) في علم اللغة المقارن، أ. د. محمد صالح توفيق، دار الهاني القاهرة د. ت، ص90.

(3) فقه العربية المقارن، د. إبراهيم السامرائي، الطبعة الرابعة، 1987م، دار العلم للملايين- بيروت، ص188.

المعاني.

2- تمتاز بوجود الحروف الحلقية فيها.

3- معظم أصولها ثلاثية.

4- تمتاز بندرة الألفاظ المركبة.

5- تمتاز بندرة الأزمنة المختلفة التي يدل عليها الفعل وهذه الميزة ظاهرة واضحة، فالفعل وارتباطه بالزمن في هذه اللغات قاصر عن أن يحيط بالأحداث المختلفة التي يدل عليها الفعل في قسم من اللغات الهندية الأوربية "[1].

وبما أن علم اللغة يلجأ إلى الدراسة الاستقصائية لاستخلاص الأحكام التي تضبط الاستعمال اللغوي، وهو بدوره لا يحيط به فرد واحد، فقد جاءت هذه الدراسة التي تدرس التركيب الشرطي في القرآن الكريم والتوراة؛ لتضاف إلى سابقاتها، ولتضاف إليها لاحقاتها إن شاء الله، ليتم لنا هذا البناء المكتمل المأمول.

وتكمن أهمية الشرط في عدة أمور منها؛ تعدد الأنماط في التركيب الشرطي بشكل كبير يلفت الأبصار، فهناك تركيب شرطي كامل الأركان، تذكر فيه الأداة وجملة الشرط ثم جملة الجواب، وتركيب آخر تُحذف أداة الشرط فيه، وثمة تركيب شرطي ثالث تُحذف جملة الشرط فيه، ورابع تُحذف فيه جملة الجواب.

وهناك تراكيب أُخرى صُنفت على أساس طرفي الشرط (الشرط والجواب) كونهما فعلين ماضيين أو مضارعين، أو متخالفين، أو حتى إن كان أحد الأطراف جملة فعلية أو اسمية، وهذا كله يجعلنا أمام تنوع مثير للاهتمام لأحد أبواب النحو، أضف إلى ذلك أنّ هذا التنوع في الأنماط فكيف بنا حينما نتعرض للأدوات أو جملة الشرط وجملة الجواب من الناحية النظرية لكل لغة على حدة.

إننا أمام باب ثري من أبواب النحو ومهم بنفس الوقت وذلك لأن الكثير من الفقهاء قد اعتمدوا على باب الشرط في أحكامهم الشرعية، بل إنّ العديد من الباحثين الشرعيين قد درسوا باب الشرط وعلاقته بأصول الدين، ومنهم الباحث السعودي/ ناصر بن محمد بن ناصر كريري، في رسالته للماجستير والتي تحمل عنوان: (أسلوب الشرط بين النحويين

---

(1) السابق، ص191.

والأصوليين) وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنشرها.

إن العديد من الدراسات قامت على باب الشرط – كما سنرى لاحقاً في الدراسات السابقة – ولكن لهذا الموضوع ميزة تميزه عن البحوث السابقة؛ وهي أنه يسلك منهجا مقارنا، فلا يكتفي بدراسة موضوع الشرط في العربية وحدها، ولا في العبرية دون غيرها، بل يدرسه في اللغتين دراسة مقارنة.

أضف إلى ذلك أنّ في هذا البحث جانباً تطبيقياً على نماذج من القرآن الكريم والتوراة، وأعتقد أنّ هذا العمل لبنة تضاف إلى غيرها مما يحاول إيضاح سمات اللغة الأم التي انبثقت عنها العربية والعبرية من خلال الدراسات المقارنة.

ثانياً : الدراسات السابقة :

لاشك أن باباً من أبواب النحو مثل باب الشرط قد بُحث عند العديد من النحاة على مر العصور، ولاشك أيضاً أن هناك دراسات كثيرة ومتنوعة في أسلوبها قد تركها لنا النحاة من القدامى والمحدَثين، وقد نفت هذه الدراسات وفقاً لذلك، كما يلي:

أ – الدراسات القديمة :

لم تتناول الدراسات القديمة باب الشرط في مؤلف مستقل ولكنها أفردت له باباً مستقلاً في بعض الأحيان، ومن ذلك :

1- الكتاب لسيبويه، لقد خصّ سيبويه الشرط في باب خاص أسماهُ باب الجزاء.
2- المقتضب للمبرد، لقد تناول المبرد في كتابه المقتضب الشرط من كل نواحيه، وقد اعتمدتُ على هذا الكتاب في كثير من المسائل أثناء البحث.
3- معاني الحروف، للإمام أبي الحسن الرُّماني، وقد تطرق للعيد من أدوات الشرط.
4- أغلب كتب النحو القديمة عالجت الشرط سواء كان ذلك في باب مستقل أم تحت أبواب أخرى كباب الحروف العاملة، أو باب جزم المضارع .
5- اعتراض الشرط على الشرط ،لابن هشام الأنصاري، هو الكتاب الوحيد الذي خلفه لنا النحاة القدامى التي تعالج الشرط فقط بل تُعالج مسألة اعتراض الشرط على الشرط وهي مسألة من مسائل عديدة في باب الشرط.

6- رسالة المباحث المرْضَّية المتعلقة ب(مَنْ) الشرطية لابن هشام الأنصاري، وهي رسالة تختص بالحديث عن الأداة (مَنْ) دون الأدوات الأخرى.

ب - الدراسات الحديثة :

1- الشرط في القرآن الكريم للدكتور عبدالسلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي

2- الجملة الشرطية عند النحاة العرب للدكتور إبراهيم الشمسان

3- الجملة الشرطية عند الهذليين للدكتور إبراهيم بركات

4- الشرط في القرآن الكريم للباحث عبدالعزيز علي الصالح

5- إن الشرطية في القرآن الكريم، بحث للدكتور أحمد الحاج إبراهيم

6- مصطلحات الجملة الشرطية عند النحاة العرب، الدكتور إبراهيم الشمسان

7- أساليب الشرط والاستفهام في القرآن الكريم، أحمد اللهيب

8- جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، للدكتور مازن الوعر.

9- أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين، للدكتور فتحي إبراهيم حمودة

10- لو ولولا : دراسة نحوية قرآنية للدكتور محمد أحمد سحلول

11- أنماط الشرط عند طه حسين، بحث للدكتور أشرف ماهر محمود

12- الاشتراط النحوي والصرفي دراسة للمفهوم والوظائف، بحث للدكتور عبد العزيز علي.

13- أسلوب الشرط بين النحويين والأصوليين، رسالته للماجستير للباحث ناصر بن محمد بن ناصر كريري.

جـ - دراسات عُنيت بالشرط في ضوء اللغات السامية:

1- أدوات الشرط في اللغات السامية، د. فاروق محمد جودي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، عدد: 1، 2 مايو / ديسمبر 1970/ 1971م، وقد ركز هذا البحث على الأداة فقط، وهو بحث صغير جداً لم يوف الأدوات الشرطية حقها من الدراسة.

2- أساليب الشرط والقسم في القرآن الكريم : دراسة وصفية تاريخية رسالة دكتوراة للباحث: محمد عودة سلامة أبوجري، إشراف ا.د. رمضان عبدالتواب، كلية الآداب جامعة عين شمس، وهذه الدراسة استعانت باللغات السامية ولم تركز في الدراسة إلا على اللغة العربية.

3- الزمن اللغوي في العربية والعبرية : دراسة مقارنة، رسالة ماجستير نوقشت بكلية دار العلوم وتضمنت مبحثاً عن الاشتراط الزمني[1]، للفارس محمد عثمان .

وأخيراً أود أن أشير إلي أن هناك من درس هذا الموضوع دراسة مقارنة ولكن في مجموعة لغوية أخرى غير مجموعتنا اللغوية السامية، وأعني بذلك الباحث السعودي صالح بن ضحوي العنزي ودراسته التي تحمل عنوان (الجمل الشرطية في الإنجليزية والفرنسية) وقد نشر هذا البحث في مجلة جامعة الملك سعود (اللغات والترجمة) المجلد السابع عشر 2005م.

ثالثاً : الصعوبات التي واجهت البحث :

واجه البحث بعض الصعوبات التي تصاحب أي دراسة علمية، وبفضل الله وكرمه قد تم تجاوزها بإرشاد أستاذي الفاضل وتوجيهاته، وأول هذه الصعوبات تلك التي تعني بشكل التقسيم وماهية تبويب الدراسة، وذلك أنّ التقسيم وتصنيف الموضوعات وترتيب المسائل أمر في غاية الصعوبة . ومردّ الصعوبة في ذلك أنني أُعالج موضوعاً واحداً في لغتين، وقد انتهيت إلى هذا التقسيم والتبويب بفضل الله وإرشاد أستاذي الفاضل.

وأبرز مشكلة واجهت البحث هي غزارة المادة العلمية النظرية والخاصة بباب الشرط في اللغة العربية بينما نجد في المقابل قصوراً شديداً في ذلك في اللغة العبرية، وليس هذا

---

(1) انظر الرسالة ص217- 237.

وحسب بل إن النماذج المستخرجة من القرآن الكريم للتركيب الشرطي تتفوق بشكل كبير على تلك النماذج التي استُخْرِجَتْ من التوراة من الناحية العددية؛ وهذا بلا شك يسبب عدم اتزان في المقياس لمادة البحث، ووفقني الله وتغلبتُ على هذا بأن قمتُ بمعالجة النماذج بالتساوي وذلك عن طريق عرض النماذج في المسائل التي تندرج تحتها وبهذا أصبح لدي مقياس آخر وهو مقياس المسائل وليس النماذج مع عدم إغفالها.

ولعل آخر الصعوبات التي تحتم علي الحديث عنها هي التي نتجت بسبب اختلاف الدلالة في الشرط بين اللغتين العربية والعبرية، وذلك أنّ اللغة العربية تربط دلالة الشرط بالأدوات، بينما تربطه العبرية بجملتي الشرط والجواب، وكانت المشكلة حيث إنني أُريد أن أدْرسَ الدلالة في باب واحد في اللغتين ولم أستطع بسبب هذا التفاوت، وأخيراً رضخت لطبيعة اللغتين بأن تناولت كل منهما في سياقه ومع ما يرتبط به في كل لغة على حدة.

رابعاً : منهج الدراسة :

لعل الواضح من عنوان البحث أن المنهج المتبع به هو المنهج المقارن وهو أحد مناهج البحث اللغوي الستة[1]:

1- المنهج المعياري 2- المنهج التاريخي
3- المنهج المقارن 4- المنهج التقابلي
5- المنهج الوصفي 6- المنهج الإحصائي

وهذا لا يعني أن الدراسة لن تستعين بغيره من المناهج اللغوية، فالمنهج الوصفي هو مرحلة من مراحل المنهج المقارن، لأنه يتطلب دراسة وصفية مستقلة لكل لغة يتم مقارنتها بلغة أو بلغات أخرى، والدراسة المقارنة هي شكل من أشكال الدراسة التاريخية.
ومن خلال تطبيق هذا المنهج على علم اللغة أنْتج لنا علم مستقل أو هو فرع من فروع علم اللغة العام على أقل تقدير وهو علم اللغة المقارن .

وهذا العلم " يختص بدراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في

(1) المستشرقون والمناهج اللغوية، أ. د. إسماعيل أحمد عمايرة، الطبعة الثالثة 2002م، دار وائل عمان- الأردن، ص13.

اللغات المنتميّة إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة "[1].

وهذه الدراسة من ضمن تلك الظواهر النحوية التي يختص بها علم اللغة المقارن وفق ماسبق.

وذلك لأن هذه الدراسة تقوم على دراسة التركيب الشرطي في لغتين تنتميان لأسرة لغوية واحدة، وهي أسرة اللغات السامية.

لقد ظهر هذا المنهج كنتيجة لاكتشاف اللغة السنسكريتية على يد العالم الإنجليزي سير وليام جونز Sir William Jones سنة 1786م، وذلك حينما اكتشف جونز العلاقة بين السنسكريتية واليونانية واللاتينية[2].

وللمنهج المقارن في الدراسات اللغوية العربية أهمية قُصوى لدى الباحثين العرب، وذلك لأنها تُساعد في توضيح العديد من الأمور التي حار اللغويون العرب في الفصل فيها[3].

وتطبيقاً للمنهج المتبع فقد قُمتُ بدراسة التركيب الشرطي على أساسين: الأول نظري وذلك في الباب الأول والذي اشتمل على ثلاثة فصول: الأول يدرس مكونات التركيب الشرطي في اللغة العربية والثاني: يختص بالتركيب الشرطي في اللغة العبرية وكانت الدراسة في هذين الفصلين وفق المنهج الوصفي؛ وأما الفصل الثالث فكانت المقارنة بين الفصلين فيه.

والأساس الثاني وهو العملي وقد اختص به الباب الثاني من الدراسة حيث تضمن أنماط التركيب الشرطي في القرآن الكريم في الفصل الأول وتلك التي وجدُتها في التوراة في الفصل الثاني؛ وعقدتُ المقارنة بينهما في الفصل الثالث.

---

(1) علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، ص35

(2) علم اللغة المقارن، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب– القاهرة، 1999م، ص54.

(3) في علم اللغة المقارن، أ. د. محمد صالح توفيق، ص136.

خامساً: مادة الدراسة :

لكل دراسة مادة تدرسها وتبحث فيها عن مجمل الظواهر والقضايا ذات الصلة بها من قريب أم بعيد، ومما لاشك فيه أن المادة إذا كانت دقيقة وكاملة ومقسمة التقسيم الجيد كانت نتائج تلك الدراسة أقرب إلى الصواب وأدعى إلى الكمال، وذلك لأنها اعتمدت على أساس متين وهو المادة الخصبة التي قامت عليها الدراسة؛ ولا يوجد ما هو أمتن وأقدس من كلام الله في كتبه السماوية التي ظل العباد والنساك يخدمونها ويحفظونها في قلوبهم قبل دورهم، ولهذا السبب اختار البحث القرآن الكريم والتوراة كمادة رئيسة للدراسة، وذلك كون القرآن الكريم هو النص الأول الذي يمثل العربية خير تمثيل وكذلك لما فيه من شواهد تدعم البحث وتطوره، وبالنسبة للتوراة فهي الأخرى تمثل اللغة العبرية القديمة وذلك بسبب أهميتها لدى اليهود وكونها الكتاب الأول للغة العبرية.

والمصحف المعتمد لهذه الدراسة هو مصحف المدينة المنورة برواية حفص عن عاصم. أما التوراة المعتمدة لهذه الدراسة תנ"ך طبعة Stuttgart سنة 1999.

سادساً: المحتوى :

يقع البحث في مقدمة وتمهيد وبابين كلَّ بابٍ منهما يحتوي على ثلاثة فصول، ثم الخاتمة وثبت المصادر والمراجع، وأخيراً فهرس الموضوعات، ولتوضيح محتوى المقدمة والتمهيد وعناوين الأبواب والفصول ولبيان المباحث التي يُعالجها كل فصل, أذكرُ في ما يلي خطة البحث بإجمال:

- **المقدمة، وتبين :**

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً : الدراسات السابقة.

ثالثاً : الصعوبات التي واجهت البحث.

رابعاً : منهج الدراسة.

خامساً: مادة الدراسة.